

# قصائد من العراق

. سامي مهدي ❖ .

## أبناء إيننا

هي نجمة في الارض فارقت السماء  
وآثرت هذا المكان  
داراً لها، واستوطنتها وهي تفتش الجنان  
وتقول: يا خيل الزمان،  
ها نحن نبدأ؛  
فالبداية من هنا، وهنا سأعطي  
الصولجان،  
فيكون من ولدي ملوك،  
ويكون كهان تساورهم شكوك  
من فرط تقواهم،  
وبناؤون باليد والبصيرة واللسان.  
بكر هي الأشياء تحلم أن تكون  
فتكون بالأسماء ينطقها البنون  
وينمقون لها الصفات  
ويزينون بها الحياة  
ويكلمون الله دون تملق، أو شفعة،  
وكانهم أبناؤه المتألهون،  
ويعمرون الأرض فهي بما بنوا فيها بلاد:  
مدن، وآلهة، وكهان، وأبطال شداد  
ومواطنون

❖ - شاعر وناقد من العراق المحتل.

## اللسان

«ذو الرؤوس السود» منهمكون  
في تدوين تأتأة الزمان  
شعراً، وتنظيم الوجود،  
ولكل مجتهد نصيب في الخلود.  
لكنها، وا ويلتاه،  
مدن مسورة،  
وكل مدينة تخذت لها ملكاً تجبر  
وادعى أن الإله  
هو من حباه الملك، فهو مفوض في  
ما حباه  
وغلا، فأعلن أنه «ملك الملوك»،  
ولا عليك لهم سواه.  
مدن مبعثرة،  
وكل مدينة تبغي على الأخرى،  
وتؤثر نفسها بجميع ما طمحت إليه  
من أراض أو مياه،  
فإذا «الرؤوس السود» يلعن بعضها  
بعضاً،  
ويقتل بعضها بعضاً،  
فلا السفهاء يرتدعون،  
لا الزهاد يقتنعون،

## «سود الرؤوس» مهذبون

ورعون أكثر من رؤى كهانهم  
وأبر منهم عندما يتعبدون.  
مدن، وكل مدينة حلم بألف غد  
سعيد  
وبكل ما تهب المواسم من حصيد:  
ذهب مصفى في الحقول،  
وغلائل من فضة في الليل تفتش  
المراعي والسهول،  
والزرع أنضر ما يكون،  
والضرع أغدق ما يكون،  
ولكل مجتهد نصيب في الحصاد.  
مدن كثار  
ومرافئ اكتظت بما جلب التجار  
من لازورد، أو عطور، أو نضار،  
وبكل ما حملوه من خشب ومن  
حجر لتزدهر الديار:  
فسفائن تأتي إليها من «ملوخا» أو  
«مكان»،  
وقوافل تترى عليها من بعيد من بعيد  
تما وراء الشمس والأفق المروق بالوعود.  
والكون، بعد، طراوة وعذوبة تحت

يأتي إلينا كل عام  
ويفض أختام الزروع،  
ويربُّ بالضحكات أنساع الزروع،  
ويضيء بالأقمار أكتاف المعابر  
والدروب،  
فتخف أجنحة الحبيب إلى الحبيب،  
ولا ملام.  
تموز مات؟  
أجل، و«إيننا» قضت،  
والعالم السفلي غص ساكنيه،  
فقيم ندفع بالمزيد؟  
إننا هنا الأحياء، نعمل ما نريد،  
ونستطيع،  
إن كان فينا من يحن إلى جديد،  
غير أذكار الحروب،  
وغير أنقاض الكلام.  
فهل ننفذ ذلك الإرث الجديد  
عنا، ونمتحن القلوب بما تؤمله  
القلوب،  
ونعيد تشكيل الحياة بما تريد لنا  
الحياة  
كي نكتب الفصل الأخير  
بغير ما اعتدناه من رخو الختام.

هو ذلك الشعب المذبذب لا سواه من  
الشعوب  
سل «أور» عنه وكم لها في ما رثاها  
من نصيب  
وسل الطُفوف وكم بكى فيها على  
ذكرى شهيد  
فكأنه نذرته «إيننا» لكي ينعي،  
وكي يلد النعاة  
جيلاً فجيلاً، ثم ينتظر الطغاة  
أو الغزاة  
كي يحمل البلوى وينعي من جديد!  
أفما لهذا الشعب من ثوب جديد  
للحياة؟  
أظلل تقضمه طواحين الحروب؟  
أو ليس للأحياء من ري سوى ريق  
النعاة؟  
أبطل هذا السوس ينخر أكبد الباكين  
جيلاً بعد جيل؟  
أو ما هنالك للمحبة من سبيل  
غير التفجع في المقابر والبكاء على  
الطلول؟  
تموز مات؟!  
أجل، ولكن الربيع

لا الحكماء يحتكمون،  
كل يدعي وصلاً بليلى،  
وهي جارية تولول في حماه!  
مدن تلوب  
من الشمال إلى الجنوب  
فلموت داخلها وخارجها يصول،  
كالغول يلتهم الفرائس في البيوت  
وفي الدروب.  
مدن يحارب بعضها بعضاً فتهلكها  
الحروب  
وتدكها دكاً، فلا عمران فيها،  
لا معابد، لا مدارس، لا مراتع، لا  
حقول.  
وليس ثمة من عزاء  
لمشردبها الهائمين سوى التفجع  
والبكاء.  
أرأيت شعباً وهو يتخذ البكاء  
طقساً،  
ويبحث عن قتيل  
يبكيه في كل المواسم والفصول؟  
أرأيت شعباً وهو يدع للعويل  
فناً،  
يسميه «الثناء»؟

## وادي الدموع

سوف لا أكتب إلا ما أراه

سوف لا أمحو سوى فاصلة ما بين  
صوتي وصداه

وأردُّ القول بالقول على نفسي

إذا ما غمغمت: واضيعة!

سُرِّقَتْ في الليل «ألواح القدر».

سُرِّقَتْ، فاضطرب الكون ومادت  
بالبشر

سُرَّة الأرض، فعصف وكسوف،

وغزتها من قرار العالم السفلي آلاف  
الشياطين

صفوفاً فصوف،

وقشَّت فيها الطواعين فصرعى بالألوف،

ومياه الأنهر اسودت بما ألفت به سود  
الحتوف،

وطغى الموت فما عاد أحد

يسأل العابر عن أم له لم يرها، أو عن  
وَلَد

ضاع في الموتى،

ولم يبق شجر

ثابتاً في أرضه،

أو حجر بين الحجر؛

فهو موت متقن الصنع، وقتل عبقرى  
في زمر.

وقف الناعي على الأطلال واستسقى  
الغمام

ورثى الأموات والأحياء،

حتى صدت كل مراثيه وأعياه الكلام

فبكى، واستغفر الله، وأقعى في  
الظلام.

ما الذي يعطيه للموتى وللأحياء  
نوح وعويل

غير ما يعطي ذليل لذليل؟

من ترى يقنع أمواتاً بأن الموت براء  
وسلام؟

من ترى يقنع أحياءً بأن العيش في  
أقبية الوحل اكتمال وانسجام؟

أيها الموتى،

أنلتم ما أردتم من سلام في القبور؟

أيها الأحياء،

هل أبقى لكم من سرق «الألواح»

شيئاً لغد غير القشور؟

صمت الأحياء والموتى،

وكان الصمت ناقوس الختام.

أبدأ، لن تحبل الأرض بنيع أو شجر.

أبدأ، لن يصفو الماء، ولا الزهر يذوق،

أو ترقّ الرياح، أو تندى الضروع.

أبدأ، لن تخفت الآهات في وادي  
الدموع.

أبدأ، لن يرقص الأحياء في ضوء  
القمر،

أو يغنوا تحت زخات المطر،

أبدأ، لن يهدأ الأموات، أو يتزن  
الكون،

و«ألواح القدر»

في يدي تنين هذا العصر،

يملئها ويطويها كما شاء، ويلهو  
بالجموع كيفما شاء: دمي دون خطر!

فمن الصنديد؟

من يصطاد هذا الوحش؟

من يرديه؟

من يسترجع «الألواح»

كي توفد في أعراسه كل الشموع؟

لم يزل في الحفر السوداء نبض وديب.

لم يزل في دارس الأطلال جمر ولهيب

ينثران الشرر المضمّر ورداً في الدروب

ويضيئان لمن يأتي السبيل.

لم تزلُ تومضُ في أقصى المدارِ  
نجمَةٌ خضراءُ كالعشبِ، وترنو في  
انتظارِ  
لحظةَ المسرى إلى الوادي،  
وتلويحِ الدليلِ.  
لم يزلُ ثَمَّةٌ مَنْ يَقْرَعُ بابَ الصمتِ  
في الليلِ الطويلِ.  
لم يزلُ ثَمَّةٌ مَنْ يَبْحَثُ عن مختطفِ  
«الألواحِ» و«الألواحِ»  
في جوفِ البراري والسهولِ.  
لم يزلُ ثَمَّةٌ مَنْ يَعْرِفُ ألا مستحيلِ!  
أصحا الوادي على قرعِ طبولِ؟  
أمنادِ صاحِ في الأحياءِ والموتى وما  
أسمعُ رَجْعَ مَنْ نِداه؟  
سوفَ لا أكتبُ إلا ما أراه.  
سوفَ لا أمحو سوى فاصلةٍ ما بينَ  
صوتي وصداهُ  
وأردُّ القولَ بالقولِ على نفسي  
إذا ما رنمتُ: يا فرحتاه!

## شكراً

إلى شاعر غير عراقي يقترح على شعراء عراقيين  
أن يشكروا المختلين!

سنقولها :

« شكراً »!

وماذا بعد؟

هل تصفو لك الأشياءُ، أو تحلو، بها؟

وهل الجديدُ سوى غبارِ كان في

جيبِ القديمِ؟

فكيف تطلبُ أن نبيعَ دمَ البلادِ بدمعِها؟

لسنا من الغيمِ المحمّلِ بالضفادعِ

والوحوّلِ،

ولا من النُطفِ المدنّسةِ الهجينةِ.

نحنُ غرَّتْها، البلادُ،

فكيف تطلبُ أن نخاتلَ في محبَّتْها؟

ألاننا، كالماءِ، نقترحُ الحياةَ،

وكالرياحِ نُذيبُ ثلجَ الليلِ؟

أم تخشى أصابعنا التي تفتضُ

أختامَ البراكينِ الحبيسةِ؟

دَعَكْ من عِلِّكِ النكايةِ، فهو مرٌّ،

والثيابُ ثيابنا،

وخيوطنا أولى برتقِ خروقِ أولها

وآخرها،

وأما أنتَ فاستغفرْ لنفسِكَ عُريها.

ما كنتَ يوماً كاتباً في «نفرِ»

أو راعياً في «بابلِ».

ما كنتَ إلا ذلكَ المتفرّجَ الأعشى،

فكيف ترى، إذن، ما يصيغُ الأشياءَ

بالدمِ والدخانِ،

ويطعمُ الغريانَ من لحمِ الأودامِ؟

دَعَكْ من سُمِّ الوشايةِ،

فالوشاةُ هنا جرادُ،

لا مزيدَ على تنطعهمِ،

وقد فاضتْ بهم سوقُ العمالةِ

والبطالةِ.

فانتحلْ لك حرفةً أخرى،

إذا جاوزتَ سنَّ الشعرِ،

وانقطعَ البريدُ!

بغداد